على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين

الاستشراق في الاتحاد السوفياتي

لمراسلنا في موسكو
الأستاذ كيفورك ميناجيان

اصبح من التقاليد التي تحظى باحترام خاص بين الاوساط العلمية ، وخاصة بين المستشرقين والمستعربين ، انعقاد مؤتمرات المستعربين في الاتحاد السوفييتي ، الذي ينظم كل 3 ـ 4 سنوات . وهدف هذه المؤتمرات ، هو استعراض كل ما توصل اليه العلماء المستعربون من دراسات وكشوف وابحاث ، وتبادل الخبرة والمعرفة في مجال الدراسات العربية من تاريخ واقتصاد وادب ولغة وغير ذلك . وقد اظهرت التجربة انها مفيدة للغاية وتساعد على تنسيق الدراسات والبحوث والكشوف ، وهي حافز معنوي وعلمي لتطوير هذا الفرع من العلوم الاجتماعية الذي له مكانة خاصة . ويعود السبب الى أن الاستعراب في الاتحاد السوفييتي علم عريق له جذور عميقة ومتشعبة في كل ارجاء الاتحاد السوفييتي ، كما لا ننسى العلاقات الأخوية التي تقوم بين شعوب الاتحاد السوفييتي وشعوب البلدان العربية ، تلك العلاقات التي تقوى وتصلد من سنة لاخرى بل من يوم لآخر . وكلما تعمقت وتوسعت العلاقات المذكورة ، زادت الحاجة الى توسيع وتقوية هذا الفرع من العلوم .

وها نحن نقرأ في الجرائد ونستمع الى الاذاعات، فنعلم ان المؤتمر الثالث للمستعربين في الاتحاد السوفييتي قد انعقد في الفترة الواقعة بين 23 و 28 يونيو عام 1969 في مدينة يريفان عاصمة جمهورية ارمينيا السوفييتية ، بقرار اتخذ في المؤتمر الثاني للمستعربين السوفييتيين الذي انعقد في مدينة تبليسي عاصمة جورجيا السوفييتية .

وقد نظم المؤتمر الثالث ، اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي ، واكاديمية العلوم في جمهورية ارمينيا السوفييتية ، والجامعة الحكومية في يريفان .

وافتتح المؤتمر في قاعة المؤتمرات التابعة لاكاديمية العلوم الارمينية ، تس . اغابان الاكاديمي وامين المجلس العلمي لقسم العلوم الاجتماعية في اكاديمية العلوم الارمينية ، وكان من بين المشتركين في المؤتمر ممثلو علماء مختلف الاجيال الذين جاءوا للاشتراك في المؤتمر من اكبر مراكز الاستشراق والاستعراب في الاتحاد السوفييتي : موسكو ، ولينينجراد ، وباكو وطشقند ، ودوشانبي ، وتبيليسي، ومحج قلعة ، وطبعا من يريفان التي نظم ابناؤها اعمال المؤتمر خير تنظيم ، واستقبلت ابناء مختلف الجمهوريات والمدن احسن استقبال ، واستضافتهم اكرم ضيافة . وكان عدد المشتركين يربو على 130 شخصا . وقد تليت في الجلسة الافتتاحية برقيات التحية التي بعثت بها مختلف المؤسسات العلمية والدوائر الرسمية وجمعيات الصداقة العربية السوفييتية وغير ذلك . والقى كلمة في الجلسة الافتتاحية يفجيني ليبيديف رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية لاكاديمية العلوم السوفييتية والدكتور جريجوري شرياتوف الاستاذ في معهد اللغات الشرقية في موسكو . وتحدث يفجيني ليبيديف عن الدراسات العربية في التاريخ والاقتصاد، خلال الفترة الواقعة بين المؤتمر الثاني والمؤتمر الثالث . واشار الى ان المستعربين السوفييتيين قد

قطعوا شوطا كبيرا خلال هذه المدة القصيرة نسبيا فنشروا اكثر من الف مؤلف وبحث . اما الاستاذ جريجوري شرباتوف ، فقد تحدث في خطابه عن البحوث ، مجال اللغة العربية والادب ، التي قام بها العلماء السوفييتيون خلال نفس الفترة ، وآفاق الدراسات العربية وبعض مشاكلها ومهمتها في المستقبل .

وافتتحت الجلسة المسائية لليوم الاول ، بمحاضرة عامة ذات اهمية خاصة في موضوع « بعض نواحي النزاع العربي الاسرائيلي » القاها الدكتور ايجور بيلياييف عضو هيئة تحرير صحيفة البرافدا . وقد حلل المحاضر كل مراحل الازمة في الشرق الاوسط ، واسباب نشوب الازمة ودوافعها ، ثم كشف القناع عن نوايا الامبريالية العالمية من وراء هذه الازمة ، واورد اثباتات لا تدحض ، للنشاط المعادي للسلام والتحرر الوطني والقوى الديمقراطية والتيارات التقدمية ، الذي تقوم به اسرائيل . كما اثبت ان مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا البترولية في منطقة الشرق العربي ، اصبحت مهددة وفي خطر جسيم ، وكيف ان الامبريالية العالمية ، تبنت هذه العملية المخالفة للعرف الدولي . كما اثبت ان العرب لم يخسروا حرب يونيو عام 1967 ، بل ان العمليات الحربية توقفت على خط الجبهة بقرار مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، ولذلك يجب ان تحل هذه المسالة بوساطة هذه المنظمة العالمية . اما ما يخص مطالبة اسرائيل الباطلة « بالمفاوضات المباشرة » ، فهي مناورة دورية ، الغرض منها احباط الحل السلمي لازمة الشرق الاوسط . ووصل المحاضر الى نتيجة بديهية لا مفر منها ، وهي ان تنفذ اسرائيل قرارات هيئة الامم المتحدة .

وبعد ذلك ، انقسم المؤتمر الى فروع متخصصة: التاريخ ، الاقتصاد ، الادب ، اللغة ، اللغات السامية ، تاريخ العلوم والمواد المساعدة . وعين لكل فرع مجلس رئاسة ، ثم بدات الفروع عملها في قاعات مختلفة بجامعة يريفان .

والقيت في فرع التاريخ محاضرات هامة لمشاهير العلماء السوفييت ، منها : محاضرة الاستاذ دانيلوف « من تاريخ العلاقات السوفييتية المغربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » ومحاضرة الدكتورة ناتاليا خميليفايا « الدولة الجزائرية للامير عبد القادر وتقديره من قبل علماء التاريخ الفرنسيين » ، ومحاضرة الاستاذة ناتاليا لوتسكايا « فلاديمير لينين عن المغرب » ، ومحاضرة رئيس قسم البلدان العربية في معهد الدراسات الشرقية يفجيني ليبيديف « بعض وقائع ازمة زيادة عدد السكان في البلدان العربية » ، ومحاضرة بونداريفسكي « حركة التحرر في اليمن وسياسة انجلترا الكولونيالية في اواخر القرن 19 » ، ومحاضرة ديرمجرد يتشيان « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في هيئة الامم المتحدة» ومحاضرة سيرانيان « تكون الجبهة الوطنية في الجمهورية العربية المتحدة في عام 1946 » ، ومحاضرة منتيشاشفيلي « حركة التحرر الوطني في العراق في اعوام 1900 ـ 1914 » ، وغير ذلك من المحاضرات العديدة .

كما استمع المشتركون في فرع الاقتصاد الى محاضرات شيقة تثير اهتمام المستمع من الناحية العلمية منها مثلا : محاضرة الدكتو روبين اندرياسيان « نضال بلدان الشرق العربي من اجل خلق اقتصاد بترولي مستقل » ، ومحاضرة فالينتين مياسنيكوف « تطور القطاع الحكومي في اقتصاد بعض الدول العربية التقدمية » ، ومحاضرة ارشاروني « بترول الصحراء واقتصاد بلدان شمال افريقيا » ، ومحاضرة شميليوف « التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية » ، ومحاضرة ميلكوميان « مكان التعاونيات الزراعية في اقتصاد تونس المعاصرة » ، وغير ذلك .

وفي فرع الادب ، القيت محاضرات لفتت اهتمام المشتركين ، بسبب المستوى العالي للدراسات والتحليلات ، منها مثلا محاضرة شكروبيفا « حول المنهج الاساسي لرسالة الغفران لابي العلاء المعري »، ومحاضرة يونوسوف « الواقعية في مسرحيات توفيق الحكيم » ، ومحاضرة فاتييف « المشاكل الاجتماعية في القصص القصيرة بعد الحرب في الجمهورية العربية المتحدة » ، ومحاضرة ساكيان « محمد صالح بحر العلوم » ، ومحاضرة كيريتشينكو « الشعب وطبقة المثقفين في نتاج يوسف ادريس » ، ومحاضرة ايمانجولييفا « عن ظهور وتطور الادب العربي في اسبانيا » ، ومحاضرة دفوريانكوف « تاثير الاسلام واللغة العربية على الشعر الافغاني في القرون 8 ـ 12» وغيرها الكثير من المحاضرات التي لا يسعنا المجال لذكرها .

اما فرع اللغة الذي اشتركت فيه ، فسنتوقف عنده لنصف اعماله وصفا اوسع . كان عدد المشتركين

في هذا الفرع كبيرا ، يضم مشاهير العلماء في اللغة ، وكانت المحاضرات تبحث في مواضيع :

ا) دراسة اللغة العربية الفصحى (النحو والصرف) .

ب) دراسة تاريخ اللغة العربية ومقارنتها مع اللغات السامية الاخرى .

ج) دراسة اللهجات العربية الحديثة .

د) اساليب تدريس اللغة العربية لغير العرب في المعاهد السوفييتية .

هـ) مسألة المصطلحات العلمية .

و) دراسة المخطوطات العربية ، وغير ذلك من القضايا اللغوية . ونذكر من بين المحاضرات التي برزت في فرع اللغة : محاضرة الدكتور هراتش جابوتشيان « ازمنة الفعل في اللغة العربية » ، وقد حلل المحاضر الصيغ المختلفة للفعل في اللغة العربية من حيث الزمن، وحاول في بحثه ، مقارنة هذه الصيغ من حيث بنيانها مع صيغ اللغات الهنداوربية . وقد توصل الباحث الى ان تركيب « كان يكتب » ، عبارة عن وحدة نحوية (Syntactical unit) وليس وحدة صرفية (Morphological unit) كما كان يعتقد بعض علماء اللغة . والجدير بالذكر ان هذا الراي ينطبق وراي النحويين العرب في القرون الوسطى . ومحاضرة الدكتور فلاديمير بيلكين « مراحل تطور اللغة العربية الفصحى » وقد حلل المحاضر هذه المراحل من الناحية التاريخية ، وحاول ايجاد تصنيفات لكل مرحلة . ومحاضرة الاستاذ محمدوف من اذربيجان « تجربة تاليف كتب تدريس اللغة العربية للاذربيجانيين » وقد عرض الاستاذ وجهة نظره وخبرته التي تراكمت مع مرور الزمن وقدم اقتراحات لتحسين اساليب تدريس اللغة العربية وتاليف كتب التدريس . ومحاضرة زاريني ــ زاده « مقارنة المعجم العربي الاذربيجاني مع المنجد الابجدي » ، حيث عرض وجهة نظره في مسائل النطق والترتيب الابجدي . ومحاضرة الدكتور سيد كاملوف « اللغة والتعليم في بلدان المغرب العربي » وقد اورد المحاضر وقائع هامة في هذا الموضوع من دراسة في المؤلفات المغربية ودراسته الخاصة خلال زيارته لهذه البلدان . ومحاضرة محمد المعصراني « الكلمات الموداليه (Modal words) في اللهجة السورية » ، ويقصد المحاضر بالكلمات المودالية ، الالفاظ التي تعبر عن موقف المتكلم ، تجاه محتوى ما يقوله او درجة صحته وهي اول محاولة في دراسة هذه الكلمات المودالية ، ووظيفتها الخاصة ، وقدم تحليلا لها من وجهة نظر العلوم اللغوية المعاصرة . ومحاضرة كيفورك ميناجيان « الالفاظ العربية الدخيلة في اللغة الروسية » حيث اثبت المحاضر تاريخيا ولغويا الطرق التي تسربت خلالها الالفاظ العربية الى اللغة الروسية ، لان الروس والعرب لم يحتكوا مع بعضهم البعض ولم تكن بينهم علاقات تذكر . بيد أن انتشار اللغة العربية في بلدان الشرق والغرب وتاثيرها على هذه اللغات كان عظيما لدرجة انها ، اي اللغات الوسيطة ، نقلتها الى اللغة الروسية . كما ان المؤلف اكتشف ان طابع الالفاظ يتوقف على الطرق التي دخلت منها وقسمها الى مجموعتين :

ا) الفاظ علمية . ب) الفاظ عامة .

واشار المحاضر الى دور الاسلام والحضارة العربية في هذه العملية . وكانت هناك محاضرات لا تقل اهمية عما ذكر ، ولكن الحديث عن جميعها امر صعب ، وخاصة على صفحات مجلة .

كما عمل بنشاط فرع علم اللغات السامية ، وفرع تاريخ العلوم والمواد المساعدة ، حيث القيت محاضرات لا تقل اهميتها عما ذكرنا سالفا .

وفي اليوم الاخير من المؤتمر انعقدت الجلسة الختامية ، والقى فيها كل رؤساء لجان الفروع تقريرا عن الفرع المسؤول عنه ، مقدرين تقديرا عاليا ابرز المحاضرات ، والتي تستحق الذكر بصورة خاصة . وبعد ذلك القى محاضرة هامة الاستاذ الكسندر كوفاليوف مدير معهد اللغات الشرقية في موسكو ، ذكر فيها خبرة المعهد في اعداد الملاكات السوفييتية من مستعربين والمهام التي تقف امام المعهد ، والصعاب التي يجب ايجاد حل لها ، بسبب زيادة الحاجة الى الاختصاصيين ، لا سيما وان العلاقات تتسع باستمرار ، وهذا بدوره يحتاج الى قوى اكثر فاكثر .

واختتم المؤتمر رئيس مجلس الرئاسة ، فقدر اعمال المؤتمر خير تقدير ، بصورة عامة ، وكل فرع من الفروع بصورة خاصة ، واشار الى ان مستويات البحوث لا شك انها مختلفة . ولكن مهما كان الامر ، فان كل محاضرة اسهمت بقسط جديد في اعمال المؤتمر بصورة خاصة ، وتطوير الدراسات العربية في الاتحاد السوفييتي بصورة عامة . ثم اتخذ قرار بنشر هذه الابحاث في مجلدات خاصة ، ليستفيد منها كل المختصين والمهتمين ، كما اتخذ قرار بعقد المؤتمر الرابع في مدينة باكو عاصمة اذربيجان السوفييتية .

فالى اللقاء حتى المؤتمر الرابع للمستعربين في الاتحاد السوفييتي .